واقع الترجمة من التأهيل الجامعي إلى التأهيل المهني

حلومة التجاني
جامعة الجزائر2

لا بدّ للترجمان من أن يكون بيانه في نفس الترجمة، في وزن علمه في نفس المعرفة وينبغي أن يكون أعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول إليها، حتى يكون فيهما سواء وغاية...
(من كتاب الحيوان)

الترجمة علم وفن وتعني نقل الكلام المنطوق أو المكتوب من اللّغة الأصل إلى اللّغة المستهدفة[1]، بل هي أكثر من ذلك، مورد ثروة لغوية تلتقي فيها اللغات لدى الشخص الواحد فتشكّل ازدواجية لغوية فردية[2] وهذه القدرة على نقل الكلام من وإلى تجعل من المترجم إنسانا مميّزا؛ وحده القادر على تصوير الحقائق ملفوظة كانت أم مكتوبة.

إلا أنّ هذا التميّز قد تعتريه عيوب فتأتي الترجمة هزيلة رديئة تنمّ عن عجز جذري في المؤسسة التكوينية ألتي أتاحت لأمثال هؤلاء النّيل من وظائف حسّاسة في المجتمع والدّولة وأعني بها وظيفة المترجم الذي يقدّم صورة عن هذا المجتمع وعن هذه الدّولة.

إن الترجمة في المؤسسات تختلف عنها في الجامعة إذ يولي أغلب الطلبة الكلمات والجمل اهتمامهم من نصوص قصيرة إلى متوسطة في الطّول، مهملين جانب الثّقافة وأشياء كثيرة قد تعينهم على الترجمة الموفّقة، وبالموازاة يستعين بعض الطلبة بتدريبات في مؤسسات مختلفة لكنّها تفتقر إلى المتابعة، وعلى الرّغم من ذلك فإنّ ممارسة الطلبة الترجمةَ في هذه المؤسسات يؤهلهم إلى الخوض - بعد تخرجهم - في غمار هذه المهنة إيمانا منهم بأنّها صفقة رابحة إذا ما أثبتوا جدارة في مجالها ويصبح الطالب موظفا مسؤولا عن ترجمة وثائق رسمية موجّهة إلى جمهور معيّن destinés à un public

défini[3] من قانونيين أو رجال أعمال أو إدارة...الخ، وعليه يجب أن يكون المترجم ذا كفاءة لسانية عارفا بقواعد وأسس التطام اللّغوي للغات التي يتقن، قادرا على تفكيك النّصوص وتأويلها، واسع الثقافة ملمّا بكلّ جديد يطرأ على العالم على الأقل في اختصاصه، وبعد هذا كلّه القدرة على التّعبير مشافهة في حال التّرجمان والتّعبير كتابة في حال الترجمة الكتابية. وليس من نافلة الأمور أن يكون مختصا في المادة العلمية التي يترجم منها وإليها في مختلف المجالات.

إنّ التطور المستمر في مختلف العلوم والآداب يفرض على الدولة أن تفكّر في إيجاد نظام جديد وسريع في تكوين مترجمين مؤهلين للنهوض بالأمّة فنحن لا نستطيع البناء والتشييد دون الاعتماد على لغات التطور الانجليزية والألمانية والفرنسية...الخ ونقلها إلى العربية، فالترجمة نشاط اجتماعي واقتصادي وثقافي ميزتها أنّها توحّد لغات التطّور في لغة واحدة هي اللغة العربية.

ففي ظلّ قانون التعريب سعت الدولة الجزائرية إلى تعريب وثائقها الإدارية والقانونية حرصا على سيادة الدولة، وقد كان من اليسير تبني اللّغة الفرنسية كموروث تاريخي، لكنّ الأمم التي تحترم مبادئها هي الأمم التي تعبّر وتكتب بلغتها وتنقل كلّ ما يصلح لتطويرها بلغتها لا بلغة غيرها لأنّها عنوان قوتها، فمذ فجر استقلالها عملت الجزائر على إنشاء مدرسة عليا للترجمة تابعة لجامعة الجزائر، كان ذلك سنة 1964 وقد كان من أهدافها تكوين مترجمين متقنين للغة العربية موجهين لمصالح العلاقات الخارجية والعمومية والإدارية، إضافة إلى إنشاء مكاتب ترجمه - كتابية وشفهية - داخل الوزارات تسهيلا لمهامها مع الأطراف الخارجية، كما أحدثت سنة 1970 شهادة الليسانس في الترجمة.

بيد أن أسباب التطوّر موجود في اللّغات الأخرى غير العربية ووحدها الترجمة تقع على تخوم هذه العلوم والمعارف بلغاتها تلك، وعليه أولت الدّولة اهتمامها لتكوين المترجمين بدءا من الجامعة حيث

الدّروس التنظيرية، فتخرجت الدّفعات الأولى في أواخر الستينيات وبداية السبعينيات مثبتة جدارة في ميدان الترجمة. لكنّ حال الترجمة من حال البلاد ومن حال منظومتها التعليمية، إذ لابدّ أن يكون هناك شرخ ما في جانب من جوانبها كما أنّها أزمة مجتمع ينظر إلى طلب العلم - عامة - كفرض كفاية لا كفرض عين.

"وحيث أنّ الترجمة داخل الهيئة كثيرا ما تكون مكلفة بل ومستحيلة أحيانا كما في حالة الهيئات الوطنية التي تتطلب ترجمة نصوص من لغات مختلفة بعضها مغمور أو تكون الحاجة إليها محدودة أو بطيئة بسبب حجم العمل وقلّة المترجمين تلجأ كثير من المؤسسات العامة والخاصة إلى من يسمون بالمترجمين المستقلين أي الذين يعملون لحسابهم الشخصي"[4] أو قد تتوسّل هذه المؤسسات بمكاتب الترجمة المعتمدة لرسوخها في هذا المجال على الرغم من توظيف المترجمين من حملة الليسانس في الترجمة، إذ تعمل هذه الهيئات على نشر إعلانات في جرائد وطنية لتوظيف مترجم/ ترجمان، ليتمّ انتقاء الأفضل عبر اختبارات يتسابق فيها المترشحون لنيل منصب أو أكثر في هذه المؤسسات.

إلاّ أنّ واقع هذه المسابقات ينمّ في الغالب عن ضعف المتقدمين لمنصب مترجم /ترجمان وقلّما يصادفنا كفء صالح لمثل هذه المهمّة إذ تبيّن نتائج المسابقات الضعف الذريع الذي ألمّ بطلبتنا، علما أنّ أساتذة قسم الترجمة هم أنفسهم الذين يقيّمون المترشح كتابة ومشافهة، وهذه عيّنة من النتائج المتحصل عليها في مسابقة من المسابقات - التي أجريت سنة 2010 - في المقاييس التالية: الثقافة العامة - ترجمة عربي/فرنسي - ترجمة فرنسي/عربي - ترجمة عربي/إنجليزي - ترجمة إنجليزي/عربي - ترجمة عربي/ألماني - ترجمة ألماني/عربي- ترجمة عربي/اسباني - ترجمة إسباني/ عربي، وهي الفروع المدرسة بقسم الترجمة جامعة الجزائر، علما أنّ قلّة من المترشحين يقدمون امتحاناتهم الترجمية في اللّغتين الإيطالية والروسية، لكنهم يصابون

بخيبة أمل كبيرة حين يعلمون أنّ قسم الترجمة غير مؤهل لتقييمهم لافتقاره إلى أساتذة الترجمة في اللغتين الايطالية والروسية.

مركز الامتحان: جامعة الجزائر2، قسم الترجمة
الدورة: 10-11 نوفمبر2010

كشف النقاط للاختبارات الكتابية
لمسابقة الالتحاق برتبة مترجم ترجمان/ مترجم ترجمان رئيسي
عدد أوراق الامتحان: .....
تاريخ تسليم الوثائق:.....

الإختيار: تقنية عامة

الرقم	الرقم السري	العلامة
01		06
02		11
03		15
04		06
05		08
06		07
07		06
08		10
09		07
10		08

الإختيار: عربي/فرنسي

الرقم	الرقم السري	العلامة
01		10
02		11,5
03		10,5
04		12
05		08,5
06		10
07		08
08		05
09		06
10		08

الإختيار: فرنسي/عربي

الرقم	الرقم السري	العلامة
01		07,75
02		07
03		12
04		06,75
05		06,25
06		05,5
07		06,75
08		08,5
09		07,75
10		03

الإختيار: عربي/إنجليزي

الرقم	الرقم السري	العلامة
01		03
02		غيبت
03		12
04		10
05		04
06		04
07		02
08		06
09		01
10		02

الإختيار: إنجليزي/عربي

الرقم	الرقم السري	العلامة
01		04
02		غيبت
03		10
04		09
05		06
06		05
07		06
08		06
09		06,5
10		05

الإختيار: عربي/إسباني

الرقم	الرقم السري	العلامة
01		13
02		05
03		06
04		03
05		00,5
06		
07		
08		
09		
10		

الإختيار: ألماني/عربي

الرقم	الرقم السري	العلامة
01		07
02		06
03		07
04		12
05		09
06		
07		
08		
09		
10		

الإختيار: عربي/إسباني

الرقم	الرقم السري	العلامة
01		09
02		10
03		10
04		12
05		10
06		10,5
07		10,5
08		11
09		12,5
10		

الإختيار: إسباني/عربي

الرقم	الرقم السري	العلامة
01		09,5
02		08
03		09
04		10
05		06
06		10,5
07		09,5
08		09
09		09,5
10		

تبيّن نتائج المسابقات لهذه الدورة أنّ الترجمة إلى الفرنسية قد سجّلت تقدما طفيفا على الترجمة إلى العربية والانجليزية في حين كانت الترجمة إلى العربية أفضل منها إلى الألمانية، وسجلت الترجمة إلى الإسبانية تقدما ملموسا؛ إنّ هذا التباين في الترجمات يكشف عن ضعف في تلقين لغات معينة كالعربية والألمانية خاصة، ممّا يعني أنه علينا إعادة التفكير في إصلاح ما لحق به الضّرر خاصة اللغة العربية، فالتكوين فيهما كما يبدو لغويا، أصحابه يجهلون القواعد التي تقوم عليها اللغة؛ وكيف لهؤلاء الخوض في هذا الميدان وهم يفتقرون للأسس التي تقوم عليها الترجمة بدءا؟ وكيف لهم أن يخوضوا بحر الترجمة وقد دخل معظمهم الجامعة من أجل الشهادة فحسب، وعلى الرغم من ذلك فهم يتقدمون لهذه الامتحانات الانتقائية لأنهم يحملون مؤهل الليسانس في الترجمة، ممّا يعني أن مهنة الترجمة ليست مهنة تكتسب بالممارسة فقط كما يعتقد البعض وإنّما تعتمد أساسا على تأهيل مسبق تقدّمه الجامعات والمدارس العليا المتخصصة في هذا المجال خاصة وأنّ أصابع الاتهام تتجه نحو الجامعة بالتقصير في تكوين مترجمين مؤهلين لهذه المهنة.

إنّ النهوض بالترجمة يقتضي الإعداد الجيّد للمترجم العارف بأسس اللّغة وقواعد الترجمة خاصة ونحن نفتقر إلى هذه الكفاءات التي سمحت ندرتها إلى خوض البعض ممن يجيدون لغتين أو أكثر- دون التّخصّص في ميدان الترجمة- غمار التجربة الترجمية في ميادين شتّى ولعلّنا نلمس في تجربة المصطلح فوضى عارمة، كلٌّ يترجم وفق الطريقة التي يريد.

إلاّ أنّنا لا نستطيع إنكار الجهود العربية بما فيها الجزائر التي أنشأت المركز الوطني للترجمة والمصطلحات والذي من مهامه المساهمة في التنمية وتقوية سياسة التعريب[5] من أجل القضاء على هذه الفوضى الترجمية في ميدان المصطلحات، فأصدرت عدّة منظمات معاجم تعالج هذا الموضوع نوجزها في هذا الجدول:

الإصدار	المنظمة	مقرها	السنة
دليل المصطلحات العربية الموحّدة في العلوم الإدارية إنجليزي/عربي	المنظمة العربية للعلوم الإدارية	القاهرة	1974
معجم مصطلحات الطاقة فرنسي/إنجليزي/عربي	منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول (أوابك)	الكويت	1980
معجم مصطلحات الطيران المدني إنجليزي- فرنسي- عربي	مجلس الطيران المدني التابع للجامعة العربية	الرباط	1974
المعجم الطبي الموحد إنجليزي/عربي/فرنسي	اتحاد الأطباء العرب	القاهرة	الطبعة الأولى سنة 1973
معجم مصطلحات المؤتمرات	المنظمة العالمية للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو)	فرنسا	1974
معجم مصطلحات الملكية الصناعية عربي/إسباني/فرنسي/إنجليزي	المنظمة العالمية للملكية الفكرية (الويبو)	جنيف	

يتبيّن من الجدول السابق أنّ الاهتمام منصب على ترجمة المصطلحات التي هي جسر بين التقدّم الغربي وحاجة الشرق أو الجنوب إلى الاستفادة منه، وبإمكان المؤهلين لوظيفة مترجم/ترجمان أن يستفيدوا منه، على الأقل كي نوجد قاعدة يشترك فيها مترجمونا في مؤسساتنا الوطنية والعربية على حد سواء.

إنّ مهنة المترجم أشبه بمهنة الطبيب إذ يواكبان كلّ جديد يطرأ على مجاليهما، وهي أيضا أشبه بدائرة الجمارك كما يقول يوجين نيدا[6] فعلى المترجم أن يكون حريصا حذرا في اختيار الألفاظ والسياقات المناسبة إذ من شأن خطأ صغير أن يفسد المعنى فلا يصل إلى متلقيه كما يجب أن يكون وقد يحدث جراء ذلك أزمات دولية.

وفي تراثنا الإسلامي يقول الرّسول **صلى الله عليه وسلم "من عمل منكم عملا فليتقنه"**، فهلاّ أتقن مترجمونا مهنتهم؛ إنّ إتقان هذه المهنة لا يتمّ إلاّ من خلال البحث عن أصل العجز والضعف في اكتساب هذه الصنعة معرفيا ومهنيا، يليها فهم المترجم للدور المنوط به إزاء أمّته وأهمية ما يقدمه من خدمات لها، انتهاء بمحبته لهذه المهنة وعدم الإفراط في النّظر إليها كصفقة مالية فحسب، لكننا نعترف أيضا أنّ السواد الأعظم منّا ليس على دراية كافية بتحركات السوق الدولية بجميع مستوياتها حتى نتمكّن من معرفة اتجاهات سوق الترجمة، وإذا ما العمل لتأهيل طلبتنا مهنيا؟

سنحاول آخر هذا المقال أن نقدم بعض الملاحظات وبعض الاقتراحات التي نراها مفيدة لتأهيل مترجمينا مهنيا:

- أولا: معظم مدرسي قسم الترجمة يعمل على ترسيخ المعارف اللغوية لا الترجمية وعليه فإنّ إنتاجنا لهذه الفئة ينحصر في تخريج أشباه مترجمين: ثلة صالحة للبحث الأكاديمي التنظيري وثلة قليلة مؤهلة لسوق الترجمة وأغلبية ساحقة

تعمل أي شيء أو تحتل مناصب إدارية خولتها إياها شهاداتهم التي حصلوا عليها بأي طريقة كانت.

- ثانيا: من المفيد لطلبة الترجمة أن تستعين الجامعة بمترجمين وتراجمة لهم باع طويل في ميدان الترجمة هي مهنتهم التي يسترزقون منها وليس لهم اهتمام بغيرها.

- ثالثا: العمل على التمييز بين ممتهن الترجمة التي هي مهنته وبين هاوي الترجمة الذي يترجم إرضاء لحاجة يجدها في نفسه ويمتهن مهنة غيرها بوليها كلّ اهتمامه.

- رابعا: أن يكون المترجم على اتصال دائم بأمثاله داخل الوطن وخارجه مستفيدا من تجاربهم في هذا الميدان.

- خامسا: الاستعانة بأدوات المعرفة المتطورة وأقصد الإعلام الآلي إذ يتوجب على المترجم أن يتقن لغة العصر ويتعامل بها.

- سادسا: تشجيع طلبة الترجمة بمنحهم جائزة مالية نظير ترجمات علمية أو أدبية أو قانونية...الخ، تقدم ترجماتهم لهيئة تقييمية من أساتذة الجامعات ومترجمين معتمدين.

إن تكوين المترجم الكفء يتطلب رعاية واجتهادا من طالب الترجمة ومُعلّمها والقائمين على برامجها ذلك أن سوق الترجمة وعر المسالك، المكان فيه للأجدر، فليست الترجمة فضاء ضيق الأرجاء وإنّما مهنتها عالم منفتح على عوالم مختلفة تتزاحم فيها المعارف والعلوم، فعلى المترجم العربي أن بفرض وجوده في هذه الساحة.

هوامش:

1- البعلبكي رمزي منير: معجم المصطلحات اللّغوية، دار العلم للملايين، بيروت، 1990، ص 510.

2- Voir: Michel BALLARD: La traduction comme conscience linguistique et culturelle, quelques repères, article de colloque, Presse Universitaire d'Ottawa – France, 1998, P.22.

3- Voir: Jean DELISLE, L'analyse du discours comme méthode de traduction, P. 42.

4- محمود إسماعيل صالح الصيني: الاتجاهات المعاصرة في حركة الترجمة في العالم، الترجمة في الوطن العربي نحو إنشاء مؤسسة عربية للترجمة، ط1 بيروت، 2000، ص 142.

5- حنفي بن عيسى: واقع الترجمة في الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، مجلة دراسات عن واقع الترجمة في الوطن العربي، المنظمة الغربية للتربية والثقافة والعلوم، القسم الأول - تونس 1965، ص 49.

6- يوجين نيدا: نحو علم الترجمة، ترجمة ماجد النجار، مطبوعات وزارة الإعلام – العراق،1976، ص 23.